رابعاً نظرية بياجيه في النمو المعرفي:

قدم بياجيه منهجاً مخالفاً في دراسة الذكاء، اذ لم يعتمد المنهج الاحصائي بل المنهج الاكلينيكي. وقد بين بياجيه دور العوامل البايولوجية في نمو الذكاء ثم التكيف العقلي مع البيئة والتفاعل معها من خلال المواءمة والاستيعاب. يفترض بياجيه ان هناك مبدأين عامين (وظيفتين) لهما أثرهما على الذكاء وهي التنظيم والتكيف وهي عوامل بيولوجية مشتركة بين افراد النوع ومستمرة طوال مراحل العمر، وان الانسان لا يرث استجابات عقلية بل يرث النزعة لتنظيم عملياته العقلية للتكيف مع البيئة بطريقة ما.

ومما تقدم، نلاحظ التنوع في تصنيف القدرات العقلية، وأبرزها الذكاء، مما يتطلب فهمها والتعامل معها بما يناسب كل فرد.

-الفروق الفردية في النفس الإنسانية (السوية واللا سوية)

يشير مصطلح النفس السوية غالباً إلى عدم الشذوذ، او عدم الانحراف عن المستوى المعتدل لعامة الناس فيما يتعلق بالصحة النفسية، والخلو من الأمراض والاضطرابات النفسية التي تبدو اعراضها واضحة على اللا سوي. ويشمل مفهوم الصحة النفسية قدرة الفرد على التوافق مع نفسه، وقدرته على مواجهة ضغوط ومشكلات الحياة المختلفة، والقدرة على التكيف معها بمختلف الظروف، كما ويشمل قدرة الفرد على وضع اهداف محددة له، والعمل على تحقيقها للوصول الى الرضا والسعادة... أما مفهوم اللا سواء، فيشمل الانحراف عن السواء، او الشذوذ عما هو مألوف، ويظهر بشكل امراض نفسية واضحة وعادة ما تتطلب المعالجة.

ويختلف الناس في درجة امتلاكهم للصحة النفسية، ولا يمكن القول ان الانسان السوي خال من أية مشكلات، فالإنسان يعيش ضمن بيئة تؤثر فيه نفسيا واجتماعيا... إما سلباً أو إيجابا، وتشكل له تحديات عليه مواجهتها بأساليب وطرق شتى، في مواقف معينة، ويختلف الناس في ردود افعالهم تجاه المواقف المختلفة من حيث طبيعة استجاباتهم، ودرجة التوتر والقلق والانفعالات... التي تظهر عليهم. وما يميز الشخص السوي عن اللا سوي أن بإمكان السوي تجاوز تلك المواقف بعقلانية، وحكمة. إلا ان الشخصية اللا سوية تواجه صعوبات، ويمكن أن تحتاج إلى وقت أطول لتفهم المواقف، وقد تمر بأزمات، وتظهر عليها أعراض مرضية قد تستمر لفترات طويلة بحاجة إلى علاج.

-الفروق الفردية في الحاجات والميول، والاتجاهات ...

تعتبر الحاجات المحرك الاساسي لسلوك الإنسان، الذي يدفعه للتحرك نحو شيء ما، فالحاجة هي حالة من النقص والعوز تتسبب في احداث التوتر، وتدفع للتحرك لإعادة التوازن وسد النقص. ويشترك الناس بالحاجات الاساسية، والحاجة إلى الامان، بينما تتباين حاجاتهم

الاجتماعية من فرد إلى آخر، ودرجة اهتمامهم بها كل بحسب ما نشأ عليه، والبيئة التي يعيش فيها ومدى تأثيرها فيه.

أما الميول، فيعبر الفرد عن ميله لشيء بقوله أميل إلى هذا، أو أحب هذا، ولا أحب ذاك، الا ان الميول غير ثابتة، وهي تتوقف على عوامل عديدة مرتبطة بالحاجات، والتأثر بالآخرين، وقد يعبر الفرد عن ميوله صراحة، أو تبقى كامنة لا يعبر عنها لأسباب مختلفة. وتتنوع الميول وتصنف بعدة تصنيفات فمنها الميول الظاهرة، والميول الكامنة التي تكشفها الاختبارات، والميول الدراسية، والميول المهنية، ... وكل من منها يمكن الكشف عنها بطريقة اختبار معينة. وتظهر الدراسات تبايناً كبيراً بين ميول الافراد لها علاقة بعوامل عدة أسرية واجتماعية،... مما يؤثر في الفرد.

وتعد الاتجاهات من مكونات الشخصية الأكثر ثباتاً من الميول، وهي عبارة عن الاعتقاد بشيء، أو عدم الاعتقاد به، فقد يعتقد الفرد بصواب شيء، وان شيئاً آخر على خطأ. ويختلف الناس كذلك في اعتقاداتهم، وكيفية التعبير عنها، لذلك نجد هذا التباين بين الناس فيما يعتقدون، وأساليبهم الشخصية والاجتماعية تجاه ما يعتقدون بالتأييد أو المعارضة. وكلما كان الاتجاه قوياً، لكما زاد ثباته وصعب تغييره، والاتجاه له ثلاث مكونات المكون العقلي والوجداني والسلوكي الادائي وتتفاعل هذه المكونات فيما بينها لتعطي الاتجاه قوته وثباته.

ومما تقدم نلاحظ ان التباين بين البشر يشمل المكونات والجوانب الجسمية العقلية والنفسية، متأثراً بالعوامل البيولوجية الوراثية والعوامل البيئية الاجتماعية،.. ويأخذ أشكالاً ومظاهر عدة مما يتطلب التعامل معها بأساليب وطرق مختلفة.

-تطبيقات تربوية للفروق الفردية:

ان أهم ما يجب التركيز عليه هو الفروق الفردية بين تلاميذ وطلبة المدرسة ومحاولة الكشف عنها بالمنهجية العلمية وباستخدام الاختبارات والمقاييس المناسبة، ومحاولة فهمها وتفسير أسبابها، ولتحديد الطرق المناسبة للتعامل معها في المدرسة.

ويلاحظ من الناحية التقليدية أن المدرسة تنتظم في صفوف حسب العمر تبدأ بعمر معين للالتحاق بالمدرسة والبدء بتعلم القراءة والكتابة،... يعكس ما نعرفه ونسلم به حول القدرات العقلية والميول والخصائص الاجتماعية لذلك العمر، والواقع انه لا توجد فكرة أو مهارة تنتمي بشكل قاطع لعمر معين في الحياة. كما يلاحظ أن المدرسة تنظم التلاميذ والطلبة في مجموعات تدريسية، أي صفوف، ويمكن أن يكون هذا جيداً عندما يكون التلاميذ بخصائص متشابهة، وبالرغم من هذا فلا توجد مجموعة متجانسة حقاً من حيث الاستعدادات والميول لدراسة مادة معينة دون غيرها.